حتى الحنظل الا انه حلو فان قيل قوله تعالى ذواتا افنان وفيهما عينان تجريان
وفيهما من كل فاكهة زوجان كلها اوصاف للجنتين في الحكمة في فصل بعضها
عن بعض بقوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان مع انه تعالى لم يفصل
حين ذكر العذاب بين الصفات بل قال تعالى يرسل عليكما شواظ من نار
ونحاس فلا تنتصران مع ان ارسال الشواظ غير ارسال النحاس اجيب
بانه تعالى جمع العذاب جملة وفصل ايات الثواب ترجيحا لجانب الرحمة
على جانب العذاب وتطييبا للقلب وتهييجا للسامع فان اعادة
ذكر المحبوب وتطويل الكلام في اللذات مستحسن فان قيل ما وجه
توسط اية العينين بين ذكر الافنان واية الفاكهة والفاكهة انما
تكون على الاغصان فالمناسبة ان لا يفصل بين اية الاغصان والفاكهة
اجيب بان ذلك على عادة المتنعمين اذا خرجوا متفرجين في البستان
فاول قصدهم الفرجة بالخضرة والماء ثم يكون الاكل بعد فباي الاء اي
نعم ربكما التي ادخرها الموجد لكما المحسن اليكما تكذبان اتلك النعم ام غيرها
مما وصفه اليكم من سائر النعم التي لا تخفى ولما كان النعم لا يكمل حسنه
الا مع التنعم من طيب الفرش وغيره قال تعالى مخبرا عن هؤلاء الذين
يخافون مقام ربهم متكئين اي لهم ما ذكر حال الاتكاء والعامل في
الحال محذوف اي يتنعمون متكئين على فرش وعظمها بقوله تعالى
مخاطبا للمكلفين بما تحتمل عقولهم والا فليس في الجنة ما يشبهه
على الحقيقة شيء من الدنيا بطائنها من استبرق وهو ما غلظ
من الديباج قال ابن مسعود وابو هريرة اذا كانت البطائن التي تلي
الارض هكذا فما ظنك بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من
استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين وقال ابن عباس انما وصف لكم بطائنها لتهتدي

اليه

اليه قلوبكم فاما الظواهر فلا يعلمها الا الله تعالى ويظهر ذلك في الجنة قوله
تعالى عرضها السموات والارض واما الطول فلا يعلمه الا الله تعالى عز وجل
لكن قال القرطبي وفيه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها
نور يتلألأ وقيل الظهائر من السندس وعن الحسن البطائن هي الظواهر
وهو قول الفراء وروي عن قتادة والعرب تقول للبطن ظهرا فيقولون هذا بطن
السماء وظهر الارض وقال الفراء قد تكون البطانة الظاهرة والظهارة البطانة
لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء
لظاهرها الذي تراه وانكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا لا يكون هذا الا
في الوجهين المتساويين اذا ولي كل واحد منهما قوما كالحائط بينك وبين قوم
وعلى اديم السماء وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس
في الارض احد يعرف ما في الظواهر تنبيه قال الرازي الاستبرق معرب
وهو الديباج الثخين اي وهذا مثله لا يخرج القران عن كونه عربيا لان
العربي ما نطقت به العرب وضعا واستعمالا من لغة غيرها وهذا كلام سهل
عليهم وبه يحصل الاعجاز بخلاف ما لم يستعملوه من كلام العجم لصعوبته عليهم
وذكر الاتكاء لانه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن بخلاف المريض
والمهموم وجنى الجنتين اي ثمرهما دان اي قريب قال ابن عباس تدنو
الشجرة حتى يجنيها ولي الله تعالى ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء
مضطجعا وقال قتادة لا يرد يده بعد ولا شوك قال الرازي جنة الاخرة
مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة اوجه احدها ان الثمرة على رؤوس الشجر في
الدنيا بعيدة على الانسان المتكئ وفي الجنة هو متكئ والثمرة تتدلى اليه
وثانيها ان الانسان في الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفي الاخرة
هي تدنو اليهم وتدور عليهم وثالثها ان الانسان في الدنيا اذا قرب من
ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو اليهم في وقت واحد وكان

Copyright King Saud University